



لما انتصر المسلمون في موقعة اليرموك أمر أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - الجنود بالتحرك إلى دمشق، وكان قائداً للجيوش بعد أن ولأه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بدلاً من خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فنزلوا على مكانٍ يسمى مرج الصفر، وقد أتاه الخبر بقدوم مديهم من حمص، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين، وهو لا يدرى بأي الأمريين يبدأ.

فكتب إلى عمر في ذلك فجاء الجواب: (أن ابدأ بدمشق؛ فإنها حصن الشام، وبيت مملكتهم، فانهد لها، واغسلوا عنكم أهل فحل) بخيول تكون تلقاءهم، فإن فتحها الله قبل دمشق، فذلك الذي نحب، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك، واستختلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم (فحل)، فسر أنت وخالد إلى حمص، واترك عمرًا وشُرحبيل على الأردن وفلسطين)، فسرّح أبو عبيدة إلى (فحل) عشرة أمراء، مع كل أمير خمسة أمراء، وعلى الجميع عمارة بن مخشي الصحابي، فساروا من (مرج الصفر) إلى (فحل)، فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض، فسموا ذلك الموضع الرَّدْغة، وفتحها الله على المسلمين. فكانت أول حصن فتح قبل دمشق.

وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص؛ ليردّ من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل، ثم سار أبو عبيدة من مرج الصُّفر، قاصداً دمشق، وقد جعل خالد بن الوليد في القلب، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في المجنبيتين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجال شُرحبيل بن حسنة، فقدموا دمشق، وكان أميرهم نسطاس بن نسطاس، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي واليه كيسان أيضاً، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير، ونزل عمرو بن العاص وشُرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد، ونصبوا المجانيق والدبابات، وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة يكونون ردعاً له، وكذا الذي بينه وبين حمص، وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة، وقيل أربعة أشهر، وقيل ستة أشهر، وقيل أربعة عشر شهراً، فالله أعلم،

وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع، ويرسلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بحمص - يطلبون منه المدد، فلا يمكن

وصول المدد إليهم من ذي الكلاع الذي قد أرصله أبو عبيدة - رضي الله عنه - بين دمشق وبين وحمص - عن دمشق ليلة - فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أرسلوا وفشلوا وضاعفوا وقوى المسلمين، وأشتد حصارهم، وجاء فصل الشتاء، وأشتد البرد، وعسر الحال، وعسر القتال، فقدر الله الكبير المتعال ذو العزة والجلال أن ولد بطريق دمشق مولود في تلك الليالي، فصنع لهم طعاماً، وسقاهم بعده شراباً، وباتوا عنده في ولি�مة، قد أكلوا وشربوا، وتعباوا فناموا عن موافقهم، وأشتغلوا عن أماكنهم، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد؛ فإنه كان لا ينام، ولا يترك أحداً ينام، بل مُراصد لهم ليلاً ونهاراً، وله عيون وقصداد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً، فلما رأى خمدة تلك الليلة، وأنه لا يقاتل على السور أحد، كان قد أعد ساليم من حبائل، فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال؛ مثل: القعقاع بن عمرو، ومذعور بن عدي، وقد أحضر جيشه عند الباب، وقال لهم: إذا سمعتم تكبيرنا فوق سور فارقو إلينا، ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب في أعناقهم، فنصبوا تلك السالم، وأثبتو أعلاها بالشرفات، وأكدو أسفلها خارج الخندق، وصعدوا فيها، فلما استووا على سور رفعوا أصواتهم بالتكبير، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السالم، وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من سور إلى البوابين فقتلواهم، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف، وفتحوا الباب عنوةً، فدخل الجيش الخالدي من الباب الشرقي، ولما سمع أهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من سور، لا يدرُّون ما الخبر؛ فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقي قتلته أصحاب خالد، ودخل خالد البلد عنوةً فقتل من وجده، وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمين دعوهم إلى المشاطرة، فيأبون عليهم - فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم، ولم يعلم بحقيقة الصحابة ما صنع خالد، ودخل المسلمون من كل جانب وباب، فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده، فقالوا له: إننا قد أمناهم، فقال: إني فتحتها عنوةً، والتقت الأماء في وسط البلد عند كنيسة المقلسط بالقرب من درب الريحان اليوم.

الألوكة

المصادر: